

روح المعاني

أي أنزهك تنزيها لائقا بك من أن يعجزك شيء أو أن يكون ابتلائي بهذا من غير سبب من جهتي
إني كنت من الظالمين .

. 87

- لأنفسهم بتعريضهم للهلكة حيث بادرت إلى المهاجرة من غير أمر على خلاف معتاد الأنبياء
عليهم السلام وهذا اعتراف منه عليه السلام بذنبه وإظهار لتوبته ليفرج كربته فاستجيبنا له
أي دعاءه الذي دعاه في ضمن الإعتراف وإظهار التوبة على العطف وجه وأحسنه أخرج أحمد
والترمذي والنسائي والحكيم في نواذر الأصول والحاكم وصححه وابن جرير والبيهقي في الشعب
وجماعة عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوة ذي النون إذ هو في بطن
الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا
استجاب له وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أن ذلك اسم الله تعالى الأعظم وأخرج ذلك الحاكم عن
سعد مرفوعا وقد شاهدت أثر الدعاء به والله تعالى الحمد حين أمرني بذلك من أطن ولايته من
الغرباء المجاورين في حضرة البار الأشهب وكان قد أصابني من البلاء ما الله تعالى أعلم به
وفي شرحه طول وأنت ملول .

وجاء عن أنس مرفوعا أنه عليه السلام حين دعا بذلك أقبلت دعوته تحف بالعرش فقالت
الملائكة عليهم السلام : هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال الله تعالى : أما تعرفون
ذلك قالوا : يا رب ومن هو قال : ذاك عبدي يونس قالوا : عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له
عمل متقبل ودعوة مجابة يا رب أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال :
بلى فأمر الحوت فطره وذلك قوله تعالى ونجيناه من الغم أي الذي ناله حين التقمه الحوت
بأن قذفه إلى الساحل بعد ساعات قال الشعبي : التقمه ضحى ولفظه عشية وعن قتادة أنه بقي
في بطنه ثلاثة أيام وهو الذي زعمته اليهود وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه بقي
سبعة أيام .

وروي ابن أبي حاتم عن أبي مالك أنه بقي أربعين يوما وقيل المراد بالغم غم الخطيئة وما
تقدم أظهر ولم يقل جل شأنه فنجيناه كما قال تعالى في قصة أيوب عليه السلام فكشفنا قال
بعض الأجلة لأنه دعا بالخلاص من الضر فالكشف المذكور يترتب على استجابته ويونس عليه السلام
لم يدع فلم يوجد وجه الترتيب في استجابته ورد بأن الفاء في قصة أيوب عليه السلام
تفسيرية والعطف هنا أيضا تفسيري والتفنن طريقة مسلوكة في البلاغة ثم لا نسلم أن يونس
عليه السلام لم يدع ولو لم يكن منه دعاء لم تتحق الإستجابة أه .

وتعقبه الخفاجي بأنه لا محصل له وكونه تفسيراً لا يدفع السؤال لأن حاصله لم أتي بالفاء
ثمت ولم يؤت بها هنا فالظاهر أن يقال : إن الأول دعاء بكشف الضر على وجه التلطف فلما
أجمل في الإستجابة وكان السؤال بطريق الإيماء ناسب أن يؤتى بالفاء التفصيلية وأما هنا
فلما هاجر عليه السلام من غير أمر كان ذلك ذنباً بالنسبة إليه عليه السلام كما أشار إليه
بقوله إني كنت من الظالمين فما أوحى إليه هو الدعاء بعدم مؤاخذته بما صدر منه
فالإستجابة عبارة عن قبول توبته وعدم مؤاخذته وليس ما بعده تفسيراً له بل زيادة إحسان
على مطلوبه ولذا عطف بالواو أه .

ولا يخفى أن ما ذكره لا يتسنى في قوله تعالى ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له
فنجيناها وأهلها من الكرب العظيم وقوله سبحانه وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت
خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى إذ لم يكن سؤال نوح عليه السلام بطريق الإيماء
مع أنه قال تعالى في قصته